منطقة محررة

الفشل المشرف

نجم والي

إنه واحد من الكتب الجميلة والحزينة جداً في الوقت نفسه. فبالرغم من مرور سنوات طويلة على صدوره إلا إنه أحد الكتب التي يمكن قراءتها مرات عديدة، أعني الكتاب يحمل عنوان "المواطن ويلز"، والذي هو ليس غير ثمرة حوار طويل أجراه المخرج السينمائي المعروف بيتر بوغدانوفيتش مع أورسون ويلز قبل وفاته بمدة قصيرة. بالنسبة لعشاق السينما يشكل هذا الحوار الذي يميز بين الإعجاب المؤثر وبين الأستذة الفارغة. قراءة هذا الكتاب تحمل المرء على تذكر كتاب آخر قرأناه قبل سنوات طويلة وكان بمثابة إنجيل عشاق السينما في كل مكان في العالم: "السينما برأي هيتشكوك" للمخرج السينمائي الفرنسي فرانسوا تريفو، الذي قرأناه أكثر من مرة بالألمانية ضمن حلقاتنا الدراسية، وكأننا نرجع كل مرة من جديد إلى شريط يصدح به الصوت ذاته الذي سمعه فرانسوا تريفو، وبالطريقة ذاتها التي أصغى بها اليه، أقصد بالعبارة ذاتها التي تظاهر بها هو. لقد مرّ زمن طويل على ذلك، حتى فتر خلال هذا الوقت الحماس غير المشروط بما يخص هيتشكوك، وبالنسبة لفرانسوا تريفو يبدو أن الزمن محاه بسرعة، وتقريباً أمحى كل السينما الفرنسية، بالاستثناء الوحيد المُصر على ممارسة الخطأ: أريك رومير، بأفلامه البطيئة الطبيعية والنقاشات الطويلة لبطلاته عن الأكل النباتي والأزمات العاطفية، تلك الأفلام التي ما تزال تُعرض لساعات طويلة في صالات صغيرة مختارة بعناية أمام جمهور مثقف.

بالنسبة لويلز ولهيتشكوك فأن ما يميزهما ببساطة عن الآخرين هو امتلاكهما شخصية العباقرة. السينما التي ولدت في نوادي السينما الرفيعة، تحفظ لهم هذا الميل المؤطر بالقدسية والدوغما، وبين الأعمال المتقنة بإحكام يبرز أمامنا دائماً في الأقل فلم "المواطن خان" لويلز وفلم "بسيكولوجيا" لهيتشكوك. لكن هذه القدسية الثقافية للمخرجين الاثنين تحوي بين طياتها على اختلاف راديكالي بينهما: صحيح أنهما موهبتان عملاقتان في السينما، لكن هيتشكوك كان موهبة منتصرة، على عكس ويلز الذي كان موهبة فاشلة لم يحص النجاح الذي استحقه!

هيتشكوك كان ينتج أفلامه ويحسب التكاليف والأرباح بالمكر نفسه الذي يتنبأ به بدرجة تأثير مشهد يُخرجه على مزاج المشاهد: المخ السحري كان أيضاً محاسباً دقيقاً فيما يخص المشاعر والريبة، وهذا ما قاله لتريفو، بأنه في فلم "بسيكولوجيا" أدار مخزون مشاعر الجمهور وكأنه يضرب مفاتيح البيانو. الحوارات تتقاطع في الكتابين، فأتذكر كلمات أخرى لويلز إذا أسعفتني الذاكرة: "هناك حساب بارد في عمل هيتشكوك يُبعدني عنه".

أورسون ويلز يشكر إعجاب بيتربوغدانوفيتش، لكن لا يبدو أنه يعتقد في قرارة نفسه بشرعيته، لأنه عندما أجرى الحوار معه كان رجلاً يعيش شيخوخته التي خنقها وأنهاها فشله في الولايات المتحدة الأميركية. صحيح أن تبجيل بعض المثقفين الأوربيين له، وكتابة دراسات الدكتوراه عن الابتكارات التكنيكية التي جلبها للسينما، هي أفعال توقظ فيه شيئاً من الامتنان لكنها أيضاً لا تستدعي عنده الكثير من الاكتراث. ليس عنده رياء الأدعياء ليقول أنه لا يهمه ذلك الذي لم يحصل عليه، مثل هؤلاء الفنانين الخردة الذين يستنكرون بامتعاض شعبية لم يحصلوا عليها وبأنهم لا يخافون من الوقوع في خطر المعاناة أبداً. ويلز ملك وبطل نوادي السينما وقصص السينما، هو مثل يهودي مطرود في صحراء أوروبا أمر حمله على تصوير أحد أفلامه في قرية "جينجون" الإسبانية بمساعدة الناس البسطاء بعيداً عن كواليس السينما الباهظة التكاليف، والذي يحصل على قوته بمشاركته في أفلام مفرطة القرف. كما يقول هو. وبظهوره في إعلانات الدعاية في التلفزيون، قضى حياته يتمنى مصيراً مثل مصير هيتشكوك، نجاح تجاري غير مشكوك به، بأن يكون على علو برج بابل المبني من الجشع في هوليوود، والذي بعد فشلين أو ثلاثة أمام شباك التذاكر أُبعد عن استوديوهات هوليوود مثل مريض ينقل بالعدوى.

ويلز لم يتوصل أبداً إلى كسب إعجاب الجمهور، الأمر الذي تكهن به هيتشكوك بقناعة، إذ عرف كيف هي ردود أفعال الرعب أمام مباغتة سكين أو مباغتة ضربة مفاجئة لوتر آلة موسيقية، وأمتلك إلى جانب ملكة غواية الجماهير، موهبة إضافية في الإبهار بواسطة تكنيكه الخاطف للنجاح. تروفو يبحث معه دون تعب عن سر ذلك المخطط، عن حركة الكاميرا في مشهد سقوط على السلم، عن الحيل الخادعة في مشهد للغرق. تروفو حول هيتشكوك إلى هيئة الساحر، حتى أننا آنذاك بعد قراءة كتابه أصبنا بعدوى تقديس شخصية المخرج السينمائي والانحناء أمام عبقريته.

أورسون ويلز في محادثاته مع بيتير بوغدانوفيتش يتسلح بوسائل وقاية كثيرة ضد ذلك التأليه، ضد كل ذلك الافتراء الذي ألصق بسينما المؤلف، والذي يعتقد بأنه قام بتخريب السينما لهم؛ ذلك ما لا يفعله السينمائيون والكتاب مرآة أمام الطبيعة، فعندما يُدير الفن ظهره للطبيعة ويبدو مختلفاً عما تفعله الروايات العظيمة واللوحات، عندما تنتهي الأفلام وتُفرغ فإنها لا تفعل شيئاً آخر أكثر من اللهاث وراء الجشع.

أورسون ويلز الذي جسد مرات كثيرة هيئة المفرط في جنونه يُجيب على مدائح تلاميذه له بدرس رائع في الشعور العام المشترك وفي التواضع: "المخرج السينمائي يجب أن يستمر على كونه شخصية متناقضة، بين أمور كثيرة، لأن كل ما يوقع عليه باسمه يأتي من جانب آخر، لأن الكثير من أشيائه الجيدة هي صدف مهيمنة لا غير أو هي تأتي بسبب سيادة الحظ الحسن أو للحظوة..".

أتذكر بوضوح صورة الفنانين المنافقين والمزيفين وإتقانهم لعمل استعراضات من الافتعالات في شرح صعوبات ومعاناة مهنتهم من دون أن ينسوا احتقار المهن الأخرى، حريصون على إخراج كل ما يدعو السجود غير المشروط للاختصاصيين والمعجبين، وعلى التملق لهم؛ ذلك ما لا يفعله السينمائيون والكتاب والفنانون الكبار فعلاً، فهم يتحركون دون حركات مفتعلة ويتكلمون بنبرات بسيطة، وفي كل حركة منهم يتنفس المرء هواءهم البسيط ويشعر بهدوئهم ويلاحظ إيحاءهم الطبيعي، وبأنهم يفعلون الأشياء ويمارسون إبداعهم لرغبة لاغير دون الكثير من التضحية. في مقابلة مع الكاتب الإسباني الكبير خوان مارسيه، يقول الروائي البرشلوني بأن الشيء الوحيد الذي يحتاجه لكتابة رواية هو قصة جيدة ورغبة بقصها.

شيخاً ومبجلاً وعلى مشارف نهاية حياته، مختنقاً بسبب اللوم وتأنيب الضمير بعدم النجاح، وبسبب عبادة الأوثان لأولئك الذين يُسميهم بأنفة صيادي الرموز، بدا أورسون ويلز في ذلك الحوار وهو يختصر وصيته الأخيرة أمام بيتر بوغدانوفيتش عما يفهمه تحت تعبير "تكنيك السينما المبهمة" الذي يبالغ به البعض: "بما يخص ميكانيكية عمل فلم، من الممكن تعليم ذلك لأي شخص ذكي في نهاية أسبوع فقط".

كلنا مسيحيون يا حملة الأقلام - أسئلة للمثقفين

لطفية الدليمي

سئل الروائي الارجنتيني ارنستو ساباتو الذي عانى من الديكتاتورية وحكم العسكر في بلاده - عن المثقف والسياسة وهل ينبغي ان يعمل المثقف بالسياسة واين ومتى؟ فقال:-

-(اننا نمارس جميعا بشكل أو بآخر السياسة بالمعنى العام والتقليدي للكلمة ، كأن نلوذ بالصمت امام جرائم خطيرة (طبعا هذا موقف سياسي..) الواجب الأخلاقي يوجب على الفنان والمبدع كمواطن ان يحتل موقعا حاسما في المجتمع فيدين ويحتج عندما ترتكب فظائع ضد حرية الإنسان وكرامته وعلى الكاتب ان يقاتل من اجل مايؤمن به ..).

حسنا ألسنا كتابا وفنانين و لدينا ما نؤمن به ؟؟ الا نؤمن بحقوق الإنسان وكرامة العيش وحق التعبير وحرية الاعتقاد؟ نعم ،نحن لسنا قادة مصائر او ممن يرسمون سياسة الحكم او يتوقون للانغماس في السياسة، نحن معتنقو احلام وحماة ارواح ومروجو مستقبل وعلينا ان نجاهد من اجل تلك الأرواح والأحلام والمستقبل ونواجه الارهاب بحماية المحبة والروح وأحلامنا الإنسانية جمعاء بمواقفنا ..

ما الذي يمكن أن توصف به مجزرة كنيسة سيدة النجاة التي استشهد فيها مواطنون أبرياء يقيمون قداسا للسلام ؟؟ ما الذي يمكن ان نسمي المذابح التي قامت بها العصابات الإرهابية في المطاعم والمقاهي وأماكن تجمعات المواطنين ؟ ومتى تدفع القوى الشعبية والمدنية وفي مقدمتها مثقفو العراق - تدفع البرلمانيين لاعادة النظر في بعض مواد الدستور التي أغفلت حقوق الاقليات وواجب حمايتها ؟؟

و ما الذي ينتظره كتابنا ومثقفونا ليرفعوا أصواتهم عالياً بعد ان طغى سيل الدماء حتى بلغ أعلى صلبان كنائس بغداد؟؟ ما الذي ينتظره من يدعون امتلاك الوعي وينافحون في كتاباتهم عن الجمال والامل والمستقبل وهم يشهدون الحلم يغرق في مد الدم ؟؟

كلنا نعلم ان الارهاب لم يستثن من جرائمه أحداً لا المسيحيين ولا الأقليات الأخرى ولم تنج من وحشيته وجنونه حشود الأبرياء من الشباب والنساء والأطفال في الأسواق والمقاهي والمدارس ، فهو الى جانب عماه ووحشيته الدموية ، يدفعنا الان الى اختبار قوة المواطنة و عظمة الإنسان فينا ، يختبر معنى ان تكون مواطنا حقا وانسانا حقا و مثقفا يمتلك القدرة على اتخاذ المواقف الحازمة في بلد حرم مواطنوه من السلام والأمن والحياة الكريمة منذ عقود وحتى لحظتنا هذه ، ليس من الضروري كما يقول –ارنستو ساباتو – ان يعمل الكاتب او الفنان بالسياسة بل من المعيب ان يسخّر الفن للدفاع عن حزب او ايدلوجيا او عقيدة دينية لان الأعمال الفنية المسخرة لخدمة السياسة غالبا ماتكون سطحية و تدعو للاشمئزاز –لكن الواجب الأخلاقي والإنساني يفرض اتخاذ موقف بديل الصمت عندما يقتل الانسان ويذبح على مرأى ومسمع من الجميع ..

هل يؤمن احدنا بقيمة ما او موقف ما ؟؟هل يحترم الكاتب والمثقف سلوكيات معينة تعد من الثوابت في ثقافتنا الإنسانية ؟؟ حسنا من الذي سيدافع عن هذه القيم واولها قيمة المواطنة وحق المواطنة لاهل البلاد جميعا ؟؟ هل ننتظر ان تقوم منظمات حقوق الانسان الدولية بالمهمة لنعرف مدى تقصيرنا وصمتنا وعجزنا إزاء ماكنة الارهاب التي تسعى لتدمير العراق وابادة مواطنيه وجعله محرقة ابدية؟؟ لقد ارتكبت التجربة الديموقراطية الوليدة أخطاء بفعل المواقف الايدلوجية المتشددة وأحد هذه الأخطاء حين صوت البرلمان –تحت وطأة المتنفذين من الاحزاب الدينية – على الغاء المادة (٥٠) من الدستور في ٢٠٠٨وهي المادة التي كانت تتيح للاقليات المشاركة والتمثيل في جميع مفاصل الدولة – وبذلك جرى عزل الاقليات وتحجيم صوتها وحصر ابنائها في غيتوهاتَ داخل الوطن وماعادت الديموقراطية تتسع لمسيحي او مندائي او سواهما من اقليات الوطن العريقة وعلمانييه ومن لايدينون بالايديولوجيات المهيمنة ، ترى مَن من الكتاب والمثقفين رفع صوته ضد ذلك التعديل العنصري ؟؟ هل يعلم المثقفون والكتاب انهم بشكل من الاشكال– وفي ظل الديكتاتوريات والديموقراطيات الهشة على حد سواء – يمثلون نوعا من اقلية معزولة ومهمشة في مجتمع تسوده ثقافة الرؤية الواحدية للإنسان – وان واقعهم كمثقفين – يماثل واقع مواطني الأقليات المستهدفة من قبل المتشددين والإرهاب والمؤدلجين بالعقائد ، أجل ، هذه هي الحقيقة طالما بقيت حرية التعبير منقوصة وطالما تقام الدعاوى ضد صحفنا وكتابها، سنبقى كلنا كتابا ومسيحيين ومندائيين وعلمانيين أهدافاً للإرهاب الا اذا اتخذنا مواقف حازمة ضد ما يحدث لنا كمواطنين وأقليات دينية وفكرية وقومية..

وجهة نظر

الجواهري كالعراق في حقائقه وجماله

رياض النعماني

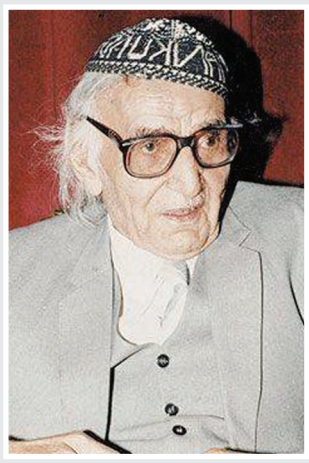

بعض التجارب الاستثنائية الخارقة ، الفريدة تُفصح عن حقيقة تاريخية خاصة جداً، وهي أن بعض البلدان التي تُقتل بأستمرار تُولد بأستمرار .

بتعبير آخر .. تُقتل لتُولد تُقتل لتدخل زمان الأسطورة الأبدي ، وتصبح بعضاً من الكلية الكونية للوجود والتي لا يمسّها أو يقترب منها غبار النسيان ، بل تقوم هي بتذكير الذكرى بذكراها وحاضرها لتغدو ضوءاً لا يأتي الأ من المستقبل الذي يدعو الجمالي والمعرفي والذي أنجزه الماضي بطاقات ورؤى المبدعين الخلاقين كي يُصبح باباً من بواباته المشرعة على المزيد من المستقبل ...من المجهول البعيد الذي هو غاية كل حركة.

وكل فكر حي متطور يتطلع لعناق الأنسان والتاريخ في لحظة صعودهما الأبدي نحو الديمومة والبقاء الذي لا يتحقق، ولا يكون الأ بولادة أسماء كونية .. أسماء هي كالحقائق الكبرى ، كالحياة والموت ، وتعاقب الليل والنهار ، وتبدل الفصول والمطر والضوء والهواء .

أسماء لا يتوقف أبداً تأثيرها وحركة إشعاعها وحضورها في الحياة كالأرض .. كالبحار وأفلاك السماء .

محمد مهدي الجواهري الشاعر الفذ أحد هذه الأسماء التي أذكر بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر . حمورابي ، النفّري ، عبد الجبار عبد الله ، عبد الكريم قاسم ، كامل الجادرجي حسن سريع ، علي الوردي ، جواد علي ، هادي العلوي ، محمد مكيه ، زها حديد ، جواد سليم وجميل بشير ، ناظم الغزالي ومائدة نزهت . والتي جعلت العراق بلداً مطلقاً .. ليس فقط أبدياً ، بل هو الأبد .. صوته وأحدى أبجدياته التي لا تموت.

هكذا يتباهى المواطنون ، أثناء حديثهم المألوف عن بلدانهم الأستثنائية.

. إنها بلادي التي أنجبت الفنان .... والمفكر ... الى آخر الفرادات الرائعة .

من هنا فأن استحضار أسم من هذه الأسماء يعني استحضاراً لأسم وتاريخ ومكانة البلاد التي أنجبته والتي لا تغيب لأن حضور هذا الأبن باق لا يغيب يملأ بها الوقت والشوارع والأيام جاعلاً منها حقيقة يتطلع اليها البشر ويسعون. نحو هذه الرؤية وهذا الموقف دفعاني لكتابة هذا الموضوع السريع عن المقدمة الموسيقية لمسلسل الجواهري ، والذي تنتجه قناة السومرية وليست العراقية ، والتي كانت المقدمة بِغماً جميلاً يسبح على جمل شعرية ولحنية دافئة .. عذبة ، شجية أعدت كنشيد لا تدخل الدراما في سياق وأبعاد وتراكيب بنيته الفنية العامة ، وليس في هذا ما يُعيب النشيد أو الشاعر والملحن لأنهما في الأساس كتباه نصاً ولحناً كنشيد ، وليس كعمل درامي يهيىء المتلقي نفسياً ، ويدخله في أجواء وأحداث العمل الدرامي .

هناك مسألة أراها تحمل دلالة خاصة جداً في هذا السياق ، وهي إن هذا النشيد بُثّ كثيراً وسُمع لسنوات فأستهلك كمادة سمعية لا تصلح أن تكون مقدمة لمسلسل هو الأول الذي يتناول حياة ومواقف وشعر الجواهري .

من هنا ينبغي أن تكون مقدمة هذا العمل جديدة .. غير مسموعة .. أنني على ثقة تامة من أن الفنان كاظم الساهر الذي يملك طاقة لحنية عالية وأكيدة لن يتلكأ في وضع لحن درامي جديد يخدم تجربة العمل الجديد .. وللجواهري أشعار كثيرة يمكن أن يتناولها الفنان الساهر لهذا الغرض .

أن هناك لحناً رائعاً من ألحان الفنان سالم حسين . يا دجلة الخير . غنته المغنية بلقيس فالح .. وزعه الفنان جعفر الخفاف، كان من الممكن أن يُستفاد منه كفكرة فنية تدخل لأغناء العمل.

عموماً .. من سألته من عائلة الجواهري عن هذا الألتباس قال لي أنه لا يعلم ، وليس له دالّة في ذلك .

إذن .. لمن نتوجه ونسأل ؟

الجواهري . كما أسلفت . كالعراق في حقائقه ، ومعارفه الكبرى ... ينبغي على كل عراقي . خاصة المبدع . أن يقول رأيه في موضوعه ، ويشارك في قراءته وإبداعه من جديد.

تنويه واعتذار

بسبب خطأ فني وفي موضوع للفنان والناقد علي النجار بعنوان (الفنان مشاهدا) ظهرت صور لموضوع آخر.. عذراً للقراء وللفنان النجار.

مراجعات

القول بما يشبه الصمت .. صيحات استغاثة صوب تلك البلاد

محمود النمر

عنوان مجموعة (القول بما يشبه الصمت) للشاعر المغترب حميد حداد الصادر من مطبعة الحضارة للنشر في مصر القاهرة. هو إعلان فاضح للصمت الذي يغلف جسد الشاعر وذاته في الغربة فيقول / هاهو نومك يلهو / قرب طاولة القراءة / حيث تمددُ الأحلام على أوراق بيض / هاهنا يلمع انهيارك / قرب صورة تمثال مأخوذ بالندم / بحضور الغابة مساءً اليك / تريقُ السلالم، تمسك بغيومك الحزينة .

هذه المقطوعة النثرية هي من القصيدة التي تحمل اسم المجموعة ،تومض فيها دلالات الانكسارات الموجعة في الغربة – النوم لهو نتيجة الملل – القراءة تتمدد فيها الأحلام وسرعان ما تنهار – والتمثال الذي يتمثل بروح الشاعر سرعان ما يتضاءل بالندم – وحضور الغابة الذي يهرب منها او يتوجس فيها الخوف حيث يداهمه المساء – السلالم لاتقود إلاّ الى غيوم حزينة .

هذه صور تراجيدية يحبكها لنا الشاعر حميد حداد، هي لا تقبل التأويل ،صور فاضحة للانكسار والنكوص نتيجة الم الغربة والنزوح عن الوطن،ولكنه الوجع الذي يؤدي الى تعضيد الذات المنكسرة. حياة قرب سور شائك / هي نفسها وأنت في الثلاثين تهرم /الاسوار الشائكة / تمنح الثياب خوفها / ما يبرر تمسكها بالتجوال معي /او بهبوطها ليلاً على نافذتي /إنها دعوة لارتكاب الخطأ ذاته / لإرتكاب الزمن ذاته / وهو يسيل بعيدا ،صفحة ٢٤.

بعد قراءة الديوان يتمكن القارئ من القول إن هذا الشاعر مخترق بلعنة الحنين (الهومسك) وهو مازال يعيش في منفاه الهولندي ولكنه مشدود من حبله السري الى بلاده / حين يخترق البرق / زجاج النافذة / تسقط عيناي / على الكرسي المقابل / الفارغ .

يعتمد حميد حداد على استنطاق الصورة وليس النظر اليها فقط ،اي انه يحاول ان يستدرج المعاني ويحفر بإزميل اللغة ويثبته على جدران الزمن / ملك منطفئ / وعجوز تدون / هزائمه .

او انه يقرأ ما يفكر به الطغاة في الأنوية او التسلط الذي عاشته بلاده من ظلم الدكتاتورية فيجتزئ صورة الطاغية وهو في اشد حالاته العنجهية / جلس ...../ تحت صوره وبطولاته / وبهدوء / أشاح بوجهه عن المرآة / وتنفس الحرب .

كم هو قاس حينما تترك بلادك وترحل ، والأنكى من ذلك انك تعلم ان خلفك بلاد تحترق بمن فيها ،لذلك تكون الكتابة هي صيحات استغاثة مخنوقة فيها لوعة وفجيعة .

قيمة الشعر هو ان يفتح النوافذ المغلقة ويترك الأسئلة معلقة على الابواب التي لاتنفتح ،وقيمة الفسفة هي اخذ هذه الأسئلة من إيقونة الشعر لتمنح الأفق قدرة التوهج وهذا ما أراه في مجموعة حميد حداد الذي اقرأ من بين سطورها حياءه الواضح على السطور .

لأن الشعور بالغربة قاس ومليء بالتداعيات، ولا يمكن معالجته إلاّ بالصمت والإتكاء على حائط الذكريات الذي يعطيك فسحة أخرى للانطلاق الى عوالم ترمم هذا الانكسار النابت في الذات .